المسلمين وحمايتهـا على الطوائف غير الاسلاميـة فكان بعض العائلات وثيق الصلة بطوائف الروم واللاتين والارمن ، لذلك كان لا يبت في نزاع بين طائفة واخرى او بين افراد الطائفة نفسها دون توسط العائلة المتنفذة صاحبة الحق المكتسب في الحماية في موضوع الخلاف كما تولى بعض اعضاء الاسر المتنفذة في القدس حماية المصالح الطائفية امام الحكومة المحلية والدفاع عنها في المجالس الادارية المختلفـة ، فكان لكل دير من يحميه ، كما وجد من بين أبناء العائلات من يدافع عن مصالح اللاتين ومن يتصدر لحماية بعض المؤسسات الاجنبيه في القدس(٤٤) وكما هو الحال في القدس وجد في غزة والخليل ويافا عائلات اسلامية متنفذة تحدرت من الاشراف ، وعائلات اخـرى من اصحـاب الوجاهة والثراء ضاعت انسابها بتوالي الاجيال(٤٥) وقد مارست جميعها بحكم مركزها الاجتماعي والاقتصادي نفوذا على أصحاب الحرف والعمال وصغار التجار في المدن وعلى الفلاحين في الريف وعلى البدو احيانا واستغلت ما لها من نفوذ لاضعاف الحكم المركزي(٤٦).

اما العلاقة بين فلاحي المتصرفية وكبار الملاك فقد اتصفت بالسيطرة والاستغلال فقد عمل الفلاحون اجراء لديهم في الارض(٤٧) وكانت عقود الايجار تتم مقابل جزء عيني من الحاصلات على اساس المزارعة اي ان المالك يقدم الارض وربما البذار والمستأجر يقدم العمل الزراعي ثم تقسم الحاصلات بينهما حسب الاتفاق ، وربما يتفقون على دفع اجر نقدي او عيني محدد او مقطوع . وغالبا ما كان يرث الفلاحين ابناؤهم واحفادهم في المزارعة كما يخلف الملاك ورثتهم في الملكية(٤٨). اما العلاقة بين الفلاحين الذين كانت تراهم ملكا لهم واعيان المدن فقد كان لكل قرية في قضاء القدس واحد او اكثر من افندية القدس لحماية مصالحها والدفاع عن افرادها لدى دوائر الحكم في المتصرفية مقابل تقديم هدايا نقدية او عينية الى الافندي وتزويد منزله في المدينة بالحبوب والزيت وغيرها من المواد الغذائية(٤٩). وما قيل عن افندية القدس ينطبق علـى متنفذي واعيـان مـدن المتصرفية الاخرى . ففي قضاء غزة كان الفقر ظاهرة عامة حيث انحصر معظم الثروة الزراعية في أيدي عدد قليل من العائلات المتنفذة،كما انتشر الربا في الاوساط الغنية،فكان على الفلاح او البدوي المضطر لشراء بذار الارض او القوت الالتجاء الـى الاغنيـاء فيقرضونه حتى يحين موسم الحصاد بفائدة تصل الى ٤٠ ٪(٥٠). ثم جاءت الحركـة الصهيونية لتزيد من سوء حال الفلاح وافقاره فاستولت على أراضيه وطردته منها فعمل اجيرا او مزارعا لدى أصحاب الاملاك فقد أدت الهجرة اليهودية الكثيفة في الربع الاخير من القرن التاسع عشر الى ازدياد عدد الفلاحين العرب الذين لا يملكون الارض .

ولما كان الباحث في تاريخ متصرفية القدس في الربع الاخير من القرن التاسع عشر لا يستطيع اغماض العين عن ظاهرة جد خطيرة نجمت عنها نتائج بالغة الاهمية ليس في متصرفية القدس فحسب بل في الوطن العربي كله، ولا زال يعاني من نتائجها ، أقصد الظاهرة الخطيرة الهجرة اليهودية التي اخذت تتدفق على المتصرفية في الثمانينات مـن القرن التاسع عشر ثم نشأ عنها استيطان زراعي يهودي استهـدف الاستيلاء علـى الارض واقامة المستعمـرات عليهـا مما ضاعف في أضرار الهجـرة وخطورتهـا على عرب متصرفية القدس والالوية الجنوبية من ولاية بيروت ، فقد أحس العرب في تلك المناطق التي لا تربطها وحدة ادارية بالخطر الذي يتهدد وجودهم في وطنهم بعد فترة وجيزة من التوسع في اعمال الاستيطان اليهودي فقاوموا الهجرة والاستيطان بوسائلهم المحدودة المتوفرة لديهم آنذاك . وتنادوا لتوحيد الجهد والصف لوضع حـد للخطـر الصهيوني العنصري ، وهكذا ادت وحدة الهم والاحساس بالخطر المشترك الذي استهدفهـم الى جمعهم في قضية واحدة . وكانت النتيجة الحتمية لمواجهة التحدي الصهيوني بـروز الشخصية الفلسطينية .

الهجرة اليهودية

سجلت الهجرة اليهودية بعد عام ١٨٨١ بداية فترة جديدة وحاسمة فقد اغتيل في ذلك ١